٢ ــ الفكر القومي العربي

يمكن القول ان تاريخ الفكر القومي العربي والحركة القومية ينقسم الى خمس مراحل رئيسية، سوف نشير اليها في ما يلي بايجاز شديد:

الاولى: مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى؛ حيث لم تتجاوز الطموحات العربية الحصول على شكل من اشكال الحكم الذاتي والاستقلال الاداري، الامر الذي دفع الكثيرين من العرب الى المشاركة في الجمعيات الثورية في تركيا وبخاصة «الاتحاد والترقي». وحتى العرب الذين حاولوا الانفراد بجمعيات خاصة بهم لم يتجاوزوا في مطالبهم هذه الحدود. ويذكر الباحث السوفياتي ليفين، في هذا الصدد، ان «طموحات القوميين العرب قبل الحرب العالمية الاولى نادرا ما تجاوزت اطر المطالبة باللامركزية الادارية او تشكيل دولة على غرار اتحاد ثنائي من الطراز النمساوي ــ المجري. ومثال ذلك الجمعية القحطانية السرية التي تشكلت في العراق في ١٩٠٩ ودعت الى اللامركزية الادارية، وجمعية 'العربية الفتاة' التي تأسست في باريس ودعت، في اول عهدها، الى اللامركزية الادارية، كذلك. وفي ١٩١٢، تشكل في القاهرة حزب اللامركزية الادارية، العثماني العلني الذي طرح شعار ارض العرب للعرب، ولكن في اطار الامبراطورية العثمانية... وكذلك كان الاستقلال الذاتي الداخلي هدفا لجمعية 'العهد' السرية؛ المشكلة في العراق في ١٩١٣ وضمت ضباطا عربا في الجيش التركي»[٨].

الثانية: فترة الثورة العربية الكبرى. ومع تفجر احداث الثورة، اعطيت للحركة القومية دفعة مؤقتة ولكن مع فشل الثورة في تحقيق اهدافها، دخل التيار القومي في حالة من الانحسار كانت نتيجتها تراجعه عن ممارسة دور فعال في الحياة السياسية العربية، واقتصاره على بعض المؤتمرات وتكوين بعض الجمعيات محدودة الفاعلية.

الثالثة: مرحلة ما بين الحربين. وفي مقابل انحسار نفوذ القوميين العرب في هذه الفترة، بذلت جهود فكرية كبيرة لاعادة صياغة فكر الحركة وايديولوجيتها، وبخاصة الجهود التي بذلها ساطع الحصري في هذا المجال، فاذا كانت جهود ساطع الحصري لم تسفر عن تكوين تنظيم قومي معين، فانها مثلت رافدا هاما للتيارات القومية التي تشكلت بعد ذلك، واهمها حزب البعث وحركة القوميين العرب.

الرابعة: مرحلة ما بعد الحرب الثانية، وحتى هزيمة حزيران (يونيو) وهي المرحلة الذهبية للحركة القومية العربية. اذ شهدت تأسيس اهم الاحزاب القومية (البعث والقوميين العرب). كما شهدت انحياز مصر لصف القومية العربية وانهماكها في القضايا القومية، وما ادى اليه ذلك من انتشار واسع للفكر القومي وتسجيل عدد من الانتصارات للحركة القومية. على ان ما يهمنا ان نشير اليه هو ان الدور الكبير الذي لعبه عبد الناصر، في تاريخ القومية العربية، لم يكن من منطلق تعميق خاص للفكر القومي، وانما في المقام الاول من منطلق الدور السياسي الرائد الذي لعبته مصر في الحياة السياسية العربية انذاك.

الخامسة: مرحلة ما بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧، واذا كان الفكر القومي وحركة القومية العربية قد عانت من بعض النكسات في نهاية المرحلة السابقة، وبخاصة الانفصال السوري عن الوحدة المصرية ــ السورية، فان هزيمة ١٩٦٧، قد انهت مرحلة